فلسفة

الصلاة في الإسلام

تأليف

الشيخ محمد رضا آل شمس الدين العاملي

صورة المهدى اليه

مؤلف كتاب « دلائل الصدق » ، وامام جامع سوق الكبير
فى النجف الاشرف

الاهداء ..

في هذا الوقت ـ الذي فيه كتابي هذا تحت ملزمة الطبع . والذي صممت على عدم اهدائه لشخص ـ ، ترآءى لى الواجب الديني . والعلمي معاً . متجسماً أمام نفسي ، وهو يحدوني الى تخليد ذكرى بطل عظيم . وجهبذ كبير !! عاش في جهاد متواصل بين التدريس . والتأليف . والعمل والصلاة ... ، ومات ولم يترك شيئاً من حطام الحياة ؛ فقلت هذا هو الحي العظيم الذي تقدسه الرجال . وتقتدي به العلماء . فخضعت لهذه النفسية . وانحنيت امام هذه القدسية ، وبيدي كتابي هذا متقدماً به الى روح فقيد الامة المغفور له الامام الكبير وآية الله « الشيخ محمد حسن المظفر » . تقديراً لعلمه وتقواه . وكسباً لرضى الله تعالى في تعظيم أعلام الاسلام وأبطال الدين .. ؟

المؤلف

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين (٢) الرحمن الرحيم (٣) مالك يوم الدين (٤) إياك نعبد وإياك نستعين (٥) اهدنا الصراط المستقيم (٦) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . (٧)

فلسفة الصدفة

(أ)

الصلاة :

(بمفهومها اللغوي) دعاء وابتهـــال . وتوسل واستعطاف . . (وبمعناها الغائي . والجوهري) عبادة وخضوع . وتقديس وتعظيم . . ، وهذا التقديس والتعظيم . وذاك الدعاء والابتهال ، هو لأشرف الموجودات واعظم الاحياء واكبر المعبودات . لانه بارء الكون والحيـاة ومنظم دوري الشمس والقمر ومرسل المياه لغذاء الانسان والحيوان والارض، وهو المحسن المعطي والعطوف الرؤف والقديم قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء ، وهو السيد المطلق والرب المعبود . الذي لا يشبهه شيء ولا يعارضه شيء ، وهو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ..

وهذه الصفات للخالق الصانع . هي اقل ما يوصف بها تعالى من صفات العزة والكمال وصفات المجـد والجـلالة . من حيث الاستحقاق والعظمة والرفعة والسمو . . . ومن جهـــة اخرى . هي اقل ما يقوم به العبد من الحمد والشكر للرب المجيد والصانع العظيم على نحو ما ذكره سيد البلغاء وامام العارفين في اول خطبة من ﴿ نهج البلاغة ﴾ قال « ع » : ﴿ الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون . ولا يحصى نعمائـه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون .. الخ ﴾ .

والصلاة في الاسلام :

ليست الا نوعا من هـذا التقديس . وذاك التعظيم الذي يقوم به كل ذي شعور ايمـاني وادراك بالواجب الألاهي . وكل ذي احساس

بضرورة الصلة بالخالق . والتواضع لذاته المقدسة من المؤمنين الذين عرفوا نعمائه وشهدوا عظمته وعلموا انهم ملاقوا ربهم على نحو ما في القرآن الكريم حيث يقول تعالى في سورة البقرة ـ ٤٥ : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة . وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم واليه راجعون ﴾ .

(ب)

والتعظيم للخالق . فهو مما امرت به الطبيعة وحث عليه الذوق واقرته الفطرة وحكم به الوجدان . قبل ان تأمر به الاديان السماوية ويدعو له رسل الله المتقدمون وانبيائه المعصومون ، لان الانسان منـــذ وجوده الأول . وفي بدء نظره لهذه الحياة . كانت الدهشة تسيطر على عقله والحيرة تشغل فكره بما يضم هذا العالم الشاسع وما يحويه من الاسرار . وكانت تتوارد على ذهنه اسئلة كثيرة حول كنه الوجود وحقيقة الحياة . وحول شدة بطش الزمن وقوة مجاري الايام .. بعد هذا لم يجد بدا الا الركون بفطرته وعقـــله ونوره الباطني واشعته الفكرية ، الى المصدر الأول لاشعة الحيـاة وقوة قوى الطبيعـة . وهو الخالق الصانع تجلت نعمائه وتعالى مقـامه .

يقول الكاتب اللبناني الشيخ عبد الله العلائلي في كتابه ﴿ ايام الحسين ص ٦٤ ﴾ : لا ريب في ان الصـلاة عقد ﴿ كونترا ﴾ بين الله والانسان . واذا تأملنا الفاتحة نجد فيها شـروط عقد متبادل . ، وعلى ضوء هذه الملاحظة ينـكشف لنا سر تـكرار الصلاة اليومية على الشكل

المعروف في الاسلام . وجعلها ليلة ونهارية . ، وهذا السر هو تجديد العقد . وتوكيده حتى لا تضعف فعاليته . وحتى لا تمر بالمرء ساعات فتور واسترخاء يخل فيها باحكام العقد فيظل بذلك طرفا فى عقد جديد . ، وكما هو معروف على البحث ان الضمير والوجدان والعقائد تتولد من التكرار والتلقين . ، والصلاة صيغة تلقين وعملية تكرار معاً ..

هذا فهمنا للصلاة من ناحية عملية . واما من ﴿ ناحية فلسفية ﴾ فانها اصح طريقة واسلوب ، واصح شكل وصيغة لما يسميه ﴿ ساندرسون ﴾ احد علماء النفس التطبيقى : ﴿ معبد الرؤيا ﴾ . هذا المعبد الذي يتأمل فيه المرء منفرداً . ويخشع مستغرقا متفكراً ، وهو يرى ﴿ اي ساندرسون ﴾ انه لا صلاح للفرد . وبالتالي للجماعة الا بمعبد الرؤيا . او ساعة التأمل اليومية . . ، وقد ضمنها الاسلام على شكل مدهش من التكرار في صخب النهار وفي هدوء الليل . ، وكأن الاسلام بصلاة النهار ينتزع الانسان انتزاعا ليغرقه في التأمل والاشراق . ولو لحظات .. ﴾

(ج)

والانسان بحسب ذاته الأولية . فيه قابلية كاملة لعبادة الرب . واهلية للقيام بالواجب . واستعداد فطري لطاعة الصانع . ، حيث ان طبيعة الانسان تدفع صاحبها الى ذلك .. كلما التفت الى نفسه . والى ما حوله . وفوقه وتحته . وخاصة عند ما يكون فى مأزق شديد . أو يصاب في ملمة شديدة . او يكون في حاجة ماسة ..

وهذا شعور ـ وهو الشعور بالطاعة ـ عام لجميع البشر . واحساس شامل

لكل امة حتى ولو كانت بعيدة عن عبادة الرب . ومنصرفة عن طاعة الله تعالى . ولهذا نجد في عصر المادة . وفي مهد العصيان . والكفران للنعمة امثال معبد الرؤيا الذي حدثنا عنه ﴿ العلائلي ﴾ ونظير ما هو الموجود في بعض مدارس الغرب في مناهج دراستها من الدروس القريبة من دروس الصلاة الشرعية . وهو ان يفرد الطالب في غرفة مظلمة . وامام شبح هائل يناجيه . ويشكو اليه همومه . ويطلب منه آماله .

وهـــذا الشعور الارتكازي والاحساس الغريزى . لا يخص نوع الأنسان . ولا ان الطاعة للخالق المدبر . قد انفرد بها ابناء آدم . ، اذ ان جميع ما في البر . والجو . والماء والارض من المخلوقات تسبح لله وتمجد له وتقدس اسمائه . كل منها بحسب قابليته واستعداده ولغته ، وانها تعبد الله بشكل من اشكال العبادة التي الهمت اياه والتفتت اليه . والاسلام اقر هذه الحقائق وربما كشف العلم في المستقبل شيئاً من هذا .. كما كشف كثيرا من الحقائق الاسلامية والمعارف القرآنية . قال الله تعالى ﴿ في سورة النحل ـ ٤٨ ﴾ : ﴿ اولم يروا الى ما خلق الله من شيء تفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ﴾ . وقال ﴿ في سورة النور ـ ٤١ ﴾ : ﴿ ألم تر ان الله يسبح له ما في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحة . والله عليم بما يفعلون ﴾ . وقال النبي « ص » : « لولا ان الكلام امة تسبح لله لامرت بقتلها »

وقد اخذ هذا المعنى الكاتب الفرنسي ﴿ الفرد ده موسة ﴾ فضمنه في آخر قصيدة له قال ما ترجمته : ﴿ ان العالم باجمعه يمجدك يا آلهي . فالعصفور يغرد في وكره . والآف النفوس تباركك من أجل قطرة ماء .

لاشيء يا الهي يضيع لدينا الكل يصلي لك ولكنك لا تبتسم الا حين ترانا جاثين خاشعين صامتين . ﴾

(د)

والعبادة لله تعالى . على اختلاف انواعها . لا تخص امة دون اخرى . وعصراً دون آخر ؛ بل هي عبادة جميع الامم في كل عصر قديمه وحديثه . حتى عصر الحجري القديم وزمن الانسان الاول ، وهي لا تزال عند امم هذا العصر من ذوي الملل الكبرى . وغيرهم ؛ ومعابدهم لن تزال منتشرة على الارض كالبيع لليهود . والكنائس للنصارى . كما ان المساجد للمسلمين .

ولو ارسلنا نظرة خاطفة الى عبادات العالم . وقارنا بينها . وبين عبادة المسلمين لادركنا سر عظمة الاسلام واهمية شريعته المنزهة من كل خرافة وشعوذة .. ؛ وقد شهد علماء الغرب في هذا العصر على ان عبادة المسلمين هي اقبل للذوق . واقرب للعلم من سائر عبادات بقية الامم .. ، وخذ مثلا من العصر القديم بنظرة الى حالة العرب قبل الاسلام . والى عبادتهم للكواكب والاصنام التي كانوا ينحتونها بايديهم فاذا جاعوا اكلوها . ؛ قال الخوارزمي : « ما انتفع كافر بمعبود كانتفاع بني حضرمة فانهم كانوا يصنعون اصناما من التمر فيعبدونها اول النهار . فاذا ارتفع . وجاعوا اكلوها . » .. ؛ وخذ مثلا آخر من العصر الحديث بجولة بين اديرة رهبنة النصاري . والوقوف على عبادات ذوي الشعوذات . واهل الخرافات والاهواء . والالعاب ؛ حتى انه لا يزال يوجد في الهند جماعة تعبد

الثور . وتتبرك بروثه وبوله !! ؟

اما العبادة الاسلامية — التي تمثلها الصلاة اكثر مما تمثلها عبادة اخرى — فانها لا تزال محل الاعجاب والاكبار من رجال الاديان . والقانون . والعلم . والفلسفة . والطب . والرياضة . والاجتماع . والنفس كانت الصلاة في موضع الحفاوة من كل هؤلاء .. لما اشتملت عليه من دروس للفرد والجماعة . ودروس في التهذيب والاخلاق . ودروس في الدين والدنيا . ودروس للحياة والآخرة . ودروس للسماء والارض ... ودروس كثيرة .. هي اكثر مما سجلناه في هذه النشرة . واكثر مما قاله غيرنا عنها ؛ بل هي فوق طاقة العقل . وفوق مستوى الفكر . وفوق الحد والاحصاء . .

(هـ)

وزبدة القول ان تشريع الصلاة — بجوهرها — تشريع قديم عرفها الانسان الاول . وان جميع البشر خضعوا لها واقروا بقدسيتها واحسوا بفوائدها وآثارها الدينية . والبدنية . والنفسية . والاجتماعية . وغيرها من الفوائد التي ذكرنا طرفا منها في هذا الكتاب . . . ؛ وكان تقريب قدم تشريع الصلاة . وبيان حججه بأحد الطرق التي تستفاد من الابحاث المتقدمة . والتي نلخصها بما يلي :

« أ » ان الصلاة جوهر الدين . والدين امر فطري . كما صرح به الكتاب والسنة . وبه شهد كثير من علماء الغرب اليوم ..

« ب » ان الصلاة شكر لاحسان المنعم . وشعور الانسان بالشكر

للمحسن شعور قديم . ومن الامثال العربية المعروفة فيه قولهم : (الانسان عبد الاحسان) .

« ج » ان الصلاة خضوع لمكون عظمة السماء والارض . والخضوع للعظماء امر ارتكازي فى جبلة كل فرد من الناس .

(ونثبت ذلك من طرق اخرى بالبيان التالي) :

« د » ان الانسان خلقه الله من طينة كونها . ونفخ فيها من روحه والانسان لم يزل يحن الى تلك الطينة الاولى . والى تلك الروح الاولية لولا ما يقف امامه من شهوة غالبة ونفس مغرية . وشيطان مهلك .

« هـ » ان الانسان عرف الحياة ذات آلام واحزان . وذات قضاء وحكم لا يرد ولا يقابل . فلتجأ الى مصدر قوة الحياة (وهو الله تعالى) ليخفف ما يحسه من كآبة . وما يكابده من وحشة وغربة . وما يشعر في نفسه من ضعف وحاجة .

« و » ان الانسان عند ما خلق . وجد معه عقل يتطلع به . ويرى فيه ما وراء الطبيعة . وما خلف الستور وما بعد الوجود المحسوس . بهذا العقل حكم الانسان بضرورة الصلة بالصانع العزيز . والاجتماع بالمكون البارء والخضوء والخشوع للرحمن الرحيم ؛ والدعاء والابتهال من الودود الغفور . والرب المعين ..

فوائد الصدقة

(١)

وهذه . .

جملة من الفوائد الدينية . والنفسية . والبدنية . والاجتماعيـــة ؛ التي لوحت اليها . واشارت لها — أو صرحت بها وقصدت منها — عبـادية الصلاة .. ؛ وهي بعض من كل . ونقطة فى بحر .. ؛ قصدنا بذكرها التأييد والتأكيد لما قالته كاتبة مصرية : من ان باستطاعتها ان تذكر للصلاة ما ينيف على مائة فائدة مختلفة .. ؛ ولولا حصول الغرض (وهو التذكير) بما ذكرناه . لزدنا العشرات على المائـة . ولـكن بما نذكره الـكفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد . .

وقصدنا — بذكر فوائد الصلاة — التمثيل . والتقريب لمن يحاول ان يفهم (العبادات فى الاسـلام) كما يفهم اي فـكرة بشرية . ورأي ارضي . لان دين الله وفـكرة السماء انما هي لاهل الارض ولتنظيم الحياة ويؤيد هذا النهج من الارشاد والتفهيم .سيرة الانبياء والاوصياء حيث كانوا يخاطبون الناس كلا بحسب ذوقه . ودرجة علمه ونوع ثقافته .. وما جاء عن النبي (ص) وآل بيته (ع) من بيان اسـرار الصلاة . وذكر فوائدها . وحـكم تشريعها .

وكان قصدنا — ايضاً .. — تذكير كثير من المسلمين عن اعظم عبادة فى الاسلام ورد الحث عليها في الـكتاب والسنة مالم يرد فى غيرها من عبادات الاسلام . وكلف باتيانها مرات متعددة فى اليوم مالم يلزم بما سواها .. هذه هي الصلاة التي تهاون بها قوم واستخف منها آخرون ..

وفي الاخير كان قصدنا بيان ان الدين جاء لخدمة البشر . وتثقيف الامة وتكميل الحياة وسعادة الانسان ؛ ولاجل فلاحه فى الدارين . ونجاحه في كلا الحياتين ..

(٢)

وكانت صلاة الظهر — من اليومية — أول صلاة صلاها نبي الاسلام محمد (ص) ولهذا ورد التأكيد في المحافظة عليها . قال الله تعالى : « حافظوا على الصلوات . والصلاة الوسطى . وقوموا لله قانتين » « في سورة البقرة ـ ٢٣٨ » . وتشريعها كما هى اليوم كان في المدينة المنورة بعد ان ظهرت الدعوة . وقوى الاسلام . وأول من علمها رسول الله (ص) زوجته خديجة « ام المؤمنين » . ووصيه علي « أمير المؤمنين » . وبعد ذلك كان يقول للمسلمين : « صلوا كما رأيتموني اصلي » ..

وزمن التشريع كان في سنة الاسراء . وعروج النبي (ص) الى السماء ؛ وكما تحدثنا بعض الاخبار انه عندما التقى نبينا (ص) بموسى عليه السلام فى السماء . سئله عما امره الله به . قال (ص) : بالصلاة الخمسين .. فقال موسى سل ربك التخفيف .. الى ان خففت من الخمسين الى الخمس صلوات . ، وذلك رحمة بامة محمد . وتسهيلا لها .

فهذا ـ الخبر ـ يدل ان الصلاة في الاسلام كانت قبل تنجز التكليف خمسين صلاتا . ثم صارت خمس صلوات .. وهذه الصلوات الخمس كانت كل صلاة منها في اصل التشريع ذات ركعة واحدة . ثم اضاف الله اليها

ركعة ثانية تأكيداً للمحافظة على الاولى . ، ثم زاد نبي الاسلام في بعضها ركعة . وبعضها ركعتين . ؛ فالصلاة اليومية التي هي سبعة عشر ركعة . عشر منها فرض الله . وسبع منها فرض النبي « ص » ـ كما في بعض الاخبار ـ ..

ولقائل : كيف للنبي ان يشرع في قبال تشريع الله . ؟ . فنقول ليس ذلك من التشريع الممنوع عليه بعد امر الله تعالى له بذلك لاجل ان يظهره على يديه تعظيما له . واكباراً لشئنه . ولهذا ورد في الحديث « ان الله ادب نبيه ففوض اليه دينه » . ؛ وكان الله يعلم بذلك التدرج في التكليف . ومكتوب في لوحه المحفوظ حتى طلب النبي « ص » النقيصة في عدد الصلات « في الأول » والزيادة في عدد الركعات « في الثاني » .

(٣)

والصلاة هي من اهم مزايا الانبياء وصفات رسل الله التي جائت في القرآن الكريم والتي مدحهم بها الله تعالى .. ؛ وفي هذا اشارة الى وحدة الاديان السماوية في الأثر والغاية . وان اكثر الاحكام التي جاء بها القرآن . كانت متبعة لدى الانبياء المتقدمين .. ومن جهة اخرى فيه اشارة بالحث على السير بطريقتهم والتمسك بصفاتهم وافعالهم التي منها الصلاة كما تجد ذلك في الآيات التالية :

قال الله تعالى يمدح اسماعيل (ع) : ﴿ واذكر في الكتاب

اسماعيل انه كان صادق الوعد . وكان رسولا نبيا . وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة . وكان عند ربه مرضيا ﴾ . ﴿ في سورة مريم ـ ٥٤ ﴾ وقال تعالى على لسان ابراهيم (ع) حين دعى ربه : ﴿ ربي اجعلني مقيم الصلاة . ومن ذريتي . ربنا وتقبل دعاء ﴾ . ﴿ فى سورة ابراهيم ٤٠ ﴾ ؛ وقال تعالى حكاية عن عيسى (ع) : ﴿ وجعلني مباركا اينما كنت . واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ﴾ [في سورة مريم ـ ٣١] ؛ وقال تعالى على لسان لقمان يوصي ولده : [يابني اقم الصلاة . وأمر بالمعروف] . [فى سورة لقمان ـ ١٧] ..

ففي هذه الآيات الكريمة . تجد أثر الصلاة عند قدماء الانبياء . واهميتها الكبيرة في نفوسهم . حيث كان اسماعيل (ع) اول ما يأمر اهله بالصلاة . وابراهيم [ع] يدعو ربه لان يكون من المقيمين للصلاة وعيسى [ع] يفتخر حيث اوصاه تعالى بالصلاة . ولقمان [ع] يؤكد في وصيته لولده بالمحافظة على الصلاة .

((٤))

وكانت الصلاة هواية نبينا محمد « ص » . ومعشوقته الكبرى . حتى قال لاصحابه : [احب من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء وقرة عيني الصلاة .] فترى قد جعلها قرة عينه . ونور بصره لمنزلتها عنده . وكبرها في نفسه . واهميتها لديه .. ؛ وفى هذا الحديث اسرار عالية . ومطالب جليلة تعرضنا لها فى نشرة ـ الزواج المقدس ـ ؛ وقد قلنا هناك

ان الصلاة اخروية اكثر منها دنيوية . وبالعكس الطيب . واما النساء فكانت بينهما . وقد استشهدنا على ذلك بأدلة كثيرة .. وهنا نجد ما للصلاة من الفوائد الاخروية والدنيوية . هذا على الرغم مما يبدو من الصلاة في اول نظرة لها من رمز العبودية الخالصة . والروحية الاخروية الصرفة ،

وكان من حب نبينا محمد ـ ص ـ للصلاة انه كان يكثر منها حتى تورمت قدماه فنزلت عليه هذه الآية : ـ ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ـ ـ في سورة طه ـ ٢ ـ ؛ وما زال يوصي بهـا اصحابه . ويشدد عليهم بالمحافظة عليها . ويكثر من القاء الاحاديث في فضلها وفوائدها حتى آخر نفس من حياته . وكانت آخر ما اوصى به ـ كما جاء في الحديث ـ .

ومع قطع النظر عن كل دليل او فائدة . فان مجرد الاقتداء بالزعيم محمد ـ ص ـ ـ قائد المسلمين الاكبر . والرئيس الاعلى ـ . سلوة كل مسلم احب النبي . وعرف خصاله . وتعلم دينه ؛ بل كل من عرف محمداً من غير المسلمين . نظير ما حصل لامرئة مثقفة في بلاد الغرب بعد ان استمعت الى ـ محاضرة في الصلاة ـ للدكتور طه حسين كتبت اليه تقول : انها لا تزال تقوم بالصلاة . وتحافظ عليها حبا بالاسلام وهواية للنبي صلى الله عله وآله وسلم وقدوة به وبابطال الاسلام وابناء المسلمين .

((٥))

وكان آل بيت محمد ـ ص ـ اشد الناس محافظة على الصلاة . واكثر أئمة المسلمين توصية بها . ؛ وكيف لا يكون ذلك .. وهم عترة النبي

صلى الله عليه وآله واوصيائه . وهم حفظة القرآن وعديله على نحو ما قاله فيهم رسول الله ـ ص ـ : ـ اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي . ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا ـ .. وهم الذين طبقوا دين الله تعالى . ومثلوا شريعة جدهم محمد « ص » احسن تطبيق واكمل تمثيل .

فانظر الى سيرة وصي الرسول علي بن ابي طالب « ع » الذي كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة . وانه اذا شرع في الصلاة يرتعش جسمه من خشية الله . وينسى كل شيء حتى نفسه . لهذا كانت تخرج نبال العدو المستعصية في جسمه حال الصلاة . هذا حاله في حياته حتى مات والصلاة بين شفتيه ـ كما يقول جبران ـ .. ، وكان مثله سميه وحفيده علي ابن الحسين الملقب بزين العابدين « ع » الذي كان يقوم للصلاة وجسمه يرتعش واعضائه ترتعد . وعندما سئل عن ذلك . ؟ قال : ويلكم أتعلمون بين يدي من أقف ؟ بين يدي ملك الملوك وجبار الجبابرة !!

وهذا أبو الشهداء الحسين بن علي . وهو في ساحة جهاد العدو . وفي آخر يوم من أيام حياته عند ما تقدم اليه الصائدي . وقال له سيدي هذا وقت الصلاة . التفت اليه الحسين « ع » وقال له تذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين . ثم تقدم للصلاة باصحابه وسهام الاعداء تمطر عليه فلم يتحرك حتى فرغ من صلاته . ، وعقيلة الوحي زينب اخت الحسين في ليلة الحادي عشر من المحرم قضت ليلتها وهي قائمة وراكعة وساجدة لله تعالى على ما بها من حزن . وما أصابها من مصيبة وفقد أحبة .. ، هذه هي سيرة آل محمد « ص » وطريقة الأئمة « ع » ..

وينبغي لمحبهم أن يكون مثلهم . ويقتضي لمواليهم ان يكون على سيرتهم آخذاً بطريقتهم سائراً على منهاجهم . والا فمدعي حبهم وولائهم بغير ذلك ـ كالعلي الالهيه والكتفية ـ ، فهو ادعاء باطل وولاء كاذب .

((٦))

فالصلاة عند المسلمين اليوم . هي اقتداء بطريقة الانبياء أمس ؛ وسيرة نبينا محمد بن عبد الله « ص » . ومنهاج آل بيت الرحمة (على وبنيه) (ع) .. ، وفيها تذكير ـ ايضاً ـ بكل هؤلاء . وتجديد لذكراهم الخالدة . ؛ واذا كانت كل امة تحي ذكر أبطالها . وتخلد ذكرى ابائها بطرقها الخاصة . وتماثيلها المنصوبة واجتماعاتها المتكررة .. فان في الصلاة دروساً كثيرة في تذكير الأبناء بأبائهم المجاهدين . واحياء ابطالهم المتقدمين الذين خدموا الانسانية ونشروا الاسلام .. ولا يخفى ما في تذكر الابطال من فائدة . واحياء ذكراهم من أثر ..

وخير من هذا التذكير ؛ التذكير بالله تعالى . واحياء نعمائه . وتجديد العهد به بتكرار الصلاة له في كل يوم . ولهذا كانت ـ الذكر الاكبر ـ كما عبر عنها القرآن الكريم حيث قال تعالى : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . ولذكر الله اكبر » ، ﴿ في سورة العنكبوت ـ ٤٥ ﴾ ؛ حتى قال بعض المفسرين ان كل ذكر ورد في القرآن فالمقصود به الصلاة امثال قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾

« في سورة المنافقون ـ ٩ » ، وقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله . واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون .. » « في سورة الجمعة ـ ١٠ »

وشرعت الصلاة للتذكير بالنبي « ص » . وقد صرح بهذا المعنى الامام السادس جعفر بن محمد الصادق « ع » في حديث رواه هشام ابن الحكم . قال : سألت الصادق « ع » عن علة الصلاة . فان فيها مشغلة للناس عن حوائجهم . ومتعبة لهم في اجسامهم . ؟ . قال « ع » : « ان الناس لو تركوا بغير تنبيه . ولا تذكير للنبي « ص » باكثر من الحجر الاسود وبقاء الكتاب في أيديهم فقط . لكانوا على ما كان عليه الاولون . فانهم كانوا اتخذوا . ووضعوا كتباً . ودعوا اناساً الى ماهم عليه . وقتلوهم على ذلك .. فدرس امرهم . وذهب حين ذهبوا ... واراد الله ان لا ينسيهم ـ اي الناس ـ أمر محمد « ص » ففرض عليهم الصلاة .. »

((٧))

وما نذكره من هذه الفوائد للصلاة . هي على وفق ما جاء في الفلسفة الاسلامية من ان الاحكام تدور مدار المصالح والمفاسد . وان الله لا يأمر عباده بواجب الا ولمنافع ومصالح فيه وما نهاهم عن محرم الا

وفيه مضار ومفاسد ..، والا لزم اللغو على الله . وصدور العبث منه . تعالى عن ذلك بصفته العالم الحكيم . والباره القدير . ورب العباد . وملك السماء والارض ..، وان هذه المنافع والمصالح ـ فى فعل الواجبات وترك المحرمات ـ هي للبشر ترجع . واليهم تعود . والا فالله تعالى غني عن اعمال مخلوقيه . وصلوات عبيده .. وقد بدى للبشر جانب من هـذه الفوائد . وبقى القسم الاكثر منها في علم الله . اخفاها عنهم لغرض امتحانهم . وانقياد البشر بالطاعة له . وتسليم جميع ما يهمهم اليه دون احد سواه .

قال النبي محمد « ص » ما : أمرتكم بشيء الا ويقربكم الى الجنة . ويبعدكم عن النار . وما نهيتكم عن شيء الا ويبعدكم عن الجنة . ويقربكم الى النار » . فدل هذا الحديث ان الأوامر والنواهي في الاسلام ، انما هي لمصالح الانسان . ومنافع البشر ، وقال تعالى . فى سورة الانبياء ـ ١٠٧ : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » . ولازم الرحمة هو جذب المصالح لهم . ودفع المضار عنهم وانارة الطريق لهم . وارشادهم الى الصراط المستقيم الذي يوصلهم الى شاطىء الأمان . ومجتمع السلام . وجنة الخلد والصلاة هي سفينة شاطىء الامان . وسبيل مجتمع السلام . وباب جنة الخلد . ، هذه الصلاة التي جعلها الله تعالى ـ في القرآن الكريم ـ سببا من اسباب الفلاح . قال الله تعالى : في سورة المؤمنون ١ ـ « قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون » وقال تعالى : في سورة الأعلى ـ ١٤ « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » .

(٨)

ويختلف وقت أداء الصلاة عن بقية أوقات العبادات .. كأنما وزعت عليها ليجعل العبد ذكر ربه أمام عينيه في كل حين تمر به الحياة . وأن يجعل رضاه وسخطه هما المقياس لأقوال المرء . وأفعاله لا رغبة النفس ونفورها . وأن يحل قدسية الرب تعالى فى أعز جارحة من بدنه . على نحو ما ذكره الحديث الشريف : « لن تسعني أرضي ولا جبالي . ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن » . بهذا النحو من العبادة الحقة والتفاني فى الله . يجب أن نوجه شعورنا وقلوبنا . لنكون عباد الله حقا في الارض لا أن نعبد المادة . ونتفاني في الملاذ ونخدم الانانية ونقتصر على النفس وندع الأرض تموج بالخراب والدمار . والنهب والقتل .

والجانب العبادي في الاسلام رمى الى كل ذلك .. بتشكيل الصلاة مع الله . والارتباط بقدسية السماء . وروحية الآخرة .. ولعل الصلاة تمتاز على اخواتها من العبادات في قوة التذكير بالله تعالى لانها تلزم العبد ليله ونهاره . وفي كل يوم بالذكر والتمجيد !! بينما أخواتها من سائر العبادات ، تجب في العمر مرة كالحج . وبعضها فى السنة مرة كالخمس والزكاة . ومنها مرة في كل اسبوع وهي صلاة الجمعة .. ، بينما الصلاة في كل يوم مرات متعددة .. ، وفى هذا التوزيع والترتيب العمري . والسنوي . والاسبوعي . واليومي .. امرار مهمة . واشارات دقيقة !! كان منها الوصول نحو قدسية الله والتقرب الى ساحة رحمته ..

ولعل الصلاة بحسب الوضع الاولي لهـــا . سميت بالصلاة لوجود المجانسة بين اللفظ والمعنى فيها . لان في الصلاة من زيادة الصلة بالله تعالى مالا يوجد في غيرها من العبادات . ، وفيها الشيء الكثير من الدعاء والترتيل . والنية والخشوع التي بهـا يكون عروج الروح الى السماء . وانكشاف الانوار الالهية للقلب .. ولهذا عبر عنها الحديث الشريف بالمعراج مرة . والقربان اخرى . فقال : « الصلاة معراج المؤمن » ، وقال : « الصلاة قربان كل تقي » .

(٩)

والصلاة هي أهم التكاليف الالاهية في الارض . وأعظم الواجبات الربانية للبشر . وقد جعل في قبالها ثواب جزيل ومرتبة عالية عنـد الله تعالى رحمة منه بعباده المطيعين وتلطفاً بخلقه المؤمنين المصلين .. هذا والصلاة من اكبر الواجبات السماوية . والفروض الدينية . وقد اشتهر « لاشكر على واجب » . ومع ذلك فان للصلاة القسط الاكبر من الثواب عند الله تعالى كما وعدنا على لسان نبيه محمد « ص » ، والدرجات العالية والمقام السامي يوم القيامة .

ويكفي من القرآن الكريم ما ورد في الآيات التي تعرضت لذكر الصلاة ـ وهي كثيرة ـ تعد بالعشرات نذكر منها قوله تعالى : « أرئيت الذي ينهى عبداً اذا صلى » « في سورة العلق ـ ١٠ » ، فدلت على الحضر من النهي عن القيام بالصلاة كما وقع لبعضهم في ذلك العصر وكما

يوجد نظيره اليوم . وقال تعالى : « وأقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل » « في سورة اسرائيل ـ ٧٨ » ، وهذه الآية اشارة الى صلاة الظهرين والعشائين ـ كما ورد في في الحديث عن الامام الباقر (ع) وقال تعالى : (وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهوداً) (في سورة اسرى ـ ٧٨) ، حيث فسر قران الفجر بصلاة الصبح .

ويكفي من الاحاديث النبوية في فضل الصلاة ـ التي تعد بالمآت ـ ما نذكره . منها : قول الامام جعفر الصادق (ع) : (اما ليس شيء أفضل من الحج غير الصلاة) وقال ايضاً : (ان طاعة الله تعالى خدمته في الارض . وليس شيء في خدمته يعدل الصلاة . فمن ثم نادت الملائكة زكريا وهو قائم في المحراب) .. ؛ ومن كلمات العلماء في الصلاة كلمة رئيس الفلاسفة (ابن سينا) الذي كتب في فلسفة الصلاة كتابة عظيمة . قال موصياً أبا سعيد الصوفي : (واعلم ان أفضل الحركات الصلاة وأمثل السكنات الصوم . وأنفع السر الصدقة . .)

(١٠)

والصلاة في الاسلام . كما جعل للمواظب عليها درجة عالية وثواب جزيل بعد الموت ، جعل للمتهاون . المستخف بها عقاب شديد ومرتبة سافلة يوم القيامة .. وهذان نظيرا التوعيد والتهديد . والترغيب والجزاء الموجودة في القوانين الوضعية . وما هو معروف بين الحكام والآباء . ولكن أين هو من ثواب الله الأكبر للمطيعين . وعقابه المر للعاصين ..

والظاهرة الغريبة في سير اكثر الناس هو قلة الايمـــان بالله تعالى . وغلبة قوة الهوى الشيطانية التى دعتهم ان يصدقوا باقوال الناس العادية التافهة . ولا يؤمنوا بأقوال خالقهم في القرآن الكريم . وكلمات نبيهم في السنة الشريفة التي هي لارشادهم لما فيه الصلاح لهم في الحياة وما بعد الموت .. ، ولقـــلة التفكير بعظمة الله وواجباته على المخلوقين . تراهم يهربون من الضرر الدنيوي . وان كان محتملا . ولا يفرون من العذاب والنار التى أعدها الله للعاصين والمجرمين .

وهذا كتاب المسلمين الاعظم ـ الذي آمن به كل مسلم موحد ـ قد صرح بعقاب تارك الصلاة . وهو النار . وبئس القرار . قال الله تعالى : (ما سلككم فى سقر . ؟ قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين) (في سورة المدثر ـ ٤٦) ، وفي الحديث قال داود بن فرقد سألت الامام الصادق (ع) عن قوله تعالى : ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ؟ . قال (ع) كتابا ثابتا . وليس ان عجلت قليلا . او أخرت قليلا بالذي يضرك مـالم تضيع تلك الاضاعة . فان الله عز وجل يقول : لقوم أضاعوا الصلاة . واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا .) وقد بالغت الاحكام الوضعية فى الاسلام على منكري الصلاة . والتارك لها بلا عذر . حيث طبقت عليهم أحكام الكفر من القتل وغيرها من الاحكام التي ذكرتها كتب الاسلام المطولة ..

(١١)

والصلاة هي من أكبر الحسنات الآتي يمحن السيئات في قوله تعالى « ان الحسنات يذهبن السيئات » « في سورة هود ـ ١١٤ » ، حيث تقرر هذه الآية الكريمة ان الانسان وهو على ظهر هذا الوجود . في معرض الخطأ . وبين مشتبك الاهواء . كما وانه غير معصوم من الزلل . فلا بد من صدور الذنب منه . وتلبسه في الجريمة . ولكن الله رحمة بامة محمد « ص » حيث قنن لها هذه المادة في الشريعة السهلة السمحاء . كما فتح للمذنبين في الاسلام بابين آخرين : باباً في الدنيا وهو التوبة .. وباباً آخر في الآخرة وهي الشفاعة ..

ولا شك أن الصلاة هي من أعظم الحسنات في الاسلام التي تقوم بعملية محو السيئات من صفحة أعمال المرء في الحياة . كما هو مقتضى تلك الآية الكريمة . وبموجب ما ذكره نبي الاسلام محمد « ص » حيث قال لأصحابه : « لو كان على باب دار أحدكم نهر في كل يوم يغتسل منه خمس مرات . أكان يبقى في جسده شيء من الدرن ؟ . قالوا لا .. قال صلى الله عليه وآله وسلم : فان مثل الصلاة كمثل الماء الجاري . كلما صلى صلاة كفرت ما بينها من الذنوب » .

وقال امير المؤمنين (ع) في (نهج البلاغة) : « فعاهدوا أمر الصلاة . وحافظوا عليها واستكثروا منها . فأنها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . ألا تسمعون الى جواب أهل النار حين سئلوا ما سلككم

فى سقر . ؟ قالوا لم نك من المصلين ، وانها لتحت الذنوب حت الورق . وتطلقها إطلاق الريق ، وشبهها رسول الله بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات . فما عسى أن يبقى عليه من الدرن .. ؛ وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة ومتاع . ولا قرة عين من ولد ولا مال . يقول الله تعالى : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . واقام الصلاة . وايتاء الزكاة ﴾ وكان رسول الله نصباً بالصلاة بعد التبشير بالجنة لقوله تعالى : ﴿ وامر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ وكان يأمر بها أهله . ويصبر عليها نفسه .. ﴾ .

(١٢)

والصلاة هي أهم مظهر من مظاهر الاسلام . وأعظم ركن منه ، وهي لباسه التي يعرف اسلامه بها . وايمانه منها ، وهي جنسيته التي بها يعلم انتماءه الى دولة الاسلام . وانه من اتباع جيش محمد ﴿ ص ﴾ .. قال رسول الله ﴿ ص ﴾ : ﴿ لكل شيء وجه . ووجه دينكم الصلاة ﴾ ، وترى قد جعل الصلاة وجه الدين . ولباس الشريعة . ، وفي حديث آخر جعلها الحد الفاصل بين الكفر . والايمان فقال : ـ ما بين الكفر والايمان الا ترك الصلاة ـ .

والامام الخامس محمد الباقر ـ ع ـ شبه الصلاة فى الدين بالعمود للخيمة فقال ـ ع ـ : ـ الصلاة عمود الدين مثلها كمثل عمود الفسطاط .

اذا ثبت العمود ثبتت الاطناب والاوتاد . واذا مال العمود وانكسر لم يثبت وتد ولا طنب ـ .

وابعد رسول الله ـ ص ـ تارك الصلاة منه . وليس ان يكون من المسلمين ـ وان ادعى ذلك ـ . وحرمه من شفاعته يوم الحساب الاكبر فقال وهو على فراش الموت : ـ ليس مني من استخف بصلاته . لا يرد علي الحوض لا والله ـ . وأكد هذا المعنى الامام الصادق ـ ع ـ فقال : ـ ان شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة ـ .

وزبدة القول ان الصلاة روح الدين . والدين هي الصلاة . كما قال الاستاذ ـ اجوست سبانييه ـ مدرس الفلسفة بجامعة باريس في كتابه ـ فلسفة الدين ـ : ـ إننا نستطيع الآن ان نستخلص أصل الدين . وان نضع له تعريفاً . فهو صلة . وعلاقة معروفة . ومرادة تنشئها الروح المكروبة بينها . وبين القدرة الخفية التي تشعر هي انها تابعة لها وان مقدوراتها تحت منشئها ، فالصلاة هي الدين في حالة العمل . أو هي الدين حقيقة ـ .

(١٣)

وشرعت الصلاة لأجل تأييد قوة الخير . ودعم الفضيلة . وطرد الرذيلة وازالة الشر من قلب الانسان لانه عندما وجد . وجدمعه قوتان : قوة الخير وقوة الشر كما قال تعالى : ـ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ـ ـ في سورة الشمس ـ ٧ ـ ؛ وجعل الله بين القوتين صراعا ونزاعا . كما جعل بيد المرء زمامها . لاجل امتحان البشر . وان يدخلوا الجنه أو النار ازاء عمل يعملونه في دار الحياة . ان خيراً فخير . وان شراً فشر .. ، والى

الصراع بينها اشار الحديث الشريف : ـ الخلق ثلاثة : خلق معه عقل ولا شهوة وهم الملائكة . وخلق معه شهوة ولا عقل وهم البهائم . وخلق معه عقل وشهوة وهم بنو الانسان . فمن غلب عقله شهوته من الناس فهو أفضل من الملائكة . ومن غلبت شهوته عقله فهو أقل من البهائم ـ .

وجاء الدين ليحذر الانسان من الاسترسال مع الشهوة وتلبية دعوة النفس الشريرة . حيث يقول النبي ﴿ ص ﴾ : ﴿ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ﴾ ، وعندما رجع ﴿ ص ﴾ من إحدى غزواته . قال لاصحابه رجعنا من الجهاد الاصغر . وبقى علينا الجهاد الاكبر . فقيل وما الجهاد الاكبر يارسول الله . ؟ قال : هو جهاد النفس .

وشرعت الصلاة لتحذير الانسان من هوى النفس ومغرياتها وشياطينها وشرعت لتقف الى جنب العقل ناصراً . ومرشداً . ومعيناً ، ولدعم الفضيلة وقوتها المستودعة في الانسان .. ولا شك ان الصلاة هى اقوى افعال الدين لمكافحة ارادة النفس وشيوع الرذيلة وانتشار الشر .. ولهذا السر شرع تكرار الصلاة مرات مختلفة في اليوم ، لتضعف بذلك . قوة الشر وتكسر شوكتها . ، ولعل من هذا المعنى أخذ اسم ـ المحراب ـ المكان المصلي . حيث فيه يحارب المصلي الهوى والنفس . والشيطان .

(١٤)

والصلاة هى روح الدين الاسلامي . الذي يرى فى حضارته الخالدة . ومدنيته الحقة . ان صلاح المجتمع بصلاح أفراده . وأن صلاح افراده ليس بصلاح اجسامهم فحسب . بل بصلاح نفوسهم ايضا . كما قال

رسول الله ـ ص ـ : ـ العلم علمان : علم الاديان . وعلم الابدان ـ .. ؛ ومن احاديث المكتب النبوي للطب النفسي قوله ـ ص ـ : ـ ان النفوس تمرض . كما تمرض الاجسام فداوها بتلاوة القرآن . وزيارة القبور ـ .

ولا يخفى ما لتلاوة القرآن وتذكر الموت من الدواء والشفاء للنفوس المريضة التي مارست الاجرام وسلكت طريق المجرمين . حيث تزجرها تلاوة القرآن . وزيارة القبور . ، وهذا كتاب الله الاعظم . قد صرح في نهي الصلاة عن ارتكاب الفحشاء والمنكر . ؛ بين ذلك بأفصح قول وأبلغ كلام . وأوجز بيان . قال الله تعالى : ـ اتل ما اوحي اليك من الكتاب . وأقم الصلاة . ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . ولذكر الله اكبر ـ في سورة العنكبوت ـ ٤٥ ـ .

وقد يتسائل البعض . أن هناك كثيراً من المصلين تراهم لم يرتدعوا عن فعل المعصية وارتكاب الجريمة . ؟ والجواب ان في الصلاة قوة روحية لو اخذت مأخذها من اعضاء المصلي وفي حواسه لكان لها ذلك الأثر الذي حدثنا عنه القرآن . اما قيام المصلي بالصلاة كعادة الفتها النفس . وقامت بها حركات الجسد دون النفس فليست هي الصلاة المعنية في القرآن والمطلوبة في الأسلام : « ان الله لا يقبل من العبد صلاة الا ما اقبل بها عليه » . ـ كما في حديث عن الأئمة « ع » ـ ، وقال رسول « ص » : « ان من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر . لا يزداد الا بعداً عن الله » ، ومر رسول الله « ص » على رجل يصلي في المسجد فقال : « نقر كنقر الغراب لان مات على هذا . مات ميتة جاهلية » .

(١٥)

والدين الذي بابه الصلاة . مدرسة تعليمية كبرى . تتلقى برنامجها من الله تعالى ويتنزل منهاجها من السماء فيوقف البشر فى الارض على خفايا لم تدركها عقولهم . ويوصلهم الى نقاط فى الارشاد العالي لا يمكن ان تتوصل اليها افكارهم مهما بلغوا من التقدم والرقي . والجدير فى الذكر ان التقدم المادي الذي يعرفه اهل الارض . لا يزيدهم الا تأخرا عن روحية السماء وحقيقة الحياة والمعرفة والتقدم . وقد التفت كثير من مصلحي الغرب فى هذا العصر الى النقص في الانظمة الوضعية التي لا تتكفل راحة الانسان وسعادة الناس عامة فى الحياة ..

وبالجملة ان الانسان فى حاجة الى كمال روحي . ولا يكون كاملا حتى يشبع روحه . ويغذي نفسه . ويتبع عقله . ويقيد هواه . وينظر الى ربه ويمسك دينه . ويفتح لقلبه ابوابا من العلم اهمها معرفة النفس وادراك ضعفها وحاجتها الى قوة الله . ؛ وهذه الصلاة تقوم بتعاليم دورية ودروس يومية توقف المصلي على امور كثيرة منها معرفة النفس . وذلك عند ما يقوم المصلي بتجديد صيغة العبودية حيث يقول : اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ؛ فيدرك من هذا ضعف نفسه . وحاجتها الى الله فى جميع الامور حتى نعمة الهداية . وفي هذا الدرس الاول من العلم كفاية للمرء لان الحديث الشريف يقول : « من عرف نفسه عرف ربه » ويقول بعض الغربيين : « يكفى للانسان من العلم معرفة نفسه » .

(١٦)

ولو نظرنا لحقيقة الصلاة والى ما حوته .. لرئيناها تفتح لنا ابواباً متعددة من أبواب العلم ندخل منها بمطالب كثيرة . ومشاكل شتى .. ونخرج منها بنعشة الروح . ولذة اليقين . ؛ والاسلام طالما حث على العلم . ودعى اليه ، وبالاخص . العلم الذي فيه نفع للبشرية وصلة بالله تعالى . وما يكون طريقاً للآخرة . ويوجد علقة بالسماء . والنبي محمد « ص » هو الذي يقول « العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ـ وتعلموا العلم ولو في الصين ـ وتعلم العلم من المهد الى اللحد » .

ولو اخذنا أذآن الصلاة ـ نشيد الاسلام الخالد او النشيد الألاهي المقدس ـ لوجدنا فيه دروساً كثيرة . وفوائد شتى .. !! ويكفي انه صيغة اعتراف بالعبودية الحقة . ودعوة لله وحده . واقرار بأسس الدين وتلقين أركان الاسلام . ثم معرفة كل هذه .

وهذه فاتحة الكتاب (أو سورة الحمد) التي فيها من الدروس القيمة والابحاث الكثيرة ما يحتاج بيانها الى كتاب خاص . وما دعى ابن عباس (حبر الامة) ان يأخذ عن استاذه امير المؤمنين (ع) شرحاً مسهباً استطال ليلة بكاملها عما يتعلق بأول آية منها وهي (بسم الله الرحمن الرحيم) . سورة الحمد تعلم كيفية القيام بالواجب الألاهي وهو (الحمد) على نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى من النعم الارضية والسماوية والعامة والخاصة . فالقيام بالحمد يلزمنا التوجه الى كل ما في الارض وما في السماء من الامور التي خلقت لاجل الانسان . والذي اوجدها هو الله خالقها

وهو (رب العالمين) . وفى هذا اشارة الى الوحدة البشـــرية . وصلة البشر بعضهم مع بعض الذين يشتركون جميعاً بمعبود واحد ورب واحـد الذي هو (مالك يوم الدين) وهو يوم القيامة الذي تجتمع فيه البشر عامة للمحاسبة ؛ والله تعالى هو الحاكم الاكبر فيه . والملك الاعظم ليعطي كلا بما عمل من خير وشر .

(١٧)

وتمتاز الصلاة باطلاقها سراح الفكر بالتجوال الفكري الصحيح وبحثها على العمل الناتج او التمرين . على حركة الفكر والجسد معـــاً ؛ والاسلام طالما حث على ذلك . ومن حثه على الأول قوله «ص» : « تفكير ساعة خير من عبادة سبعين سنة » . ومن الثـــاني قوله تعالى : « وقل اعملوا فسير الله عملكم ورسوله والمؤمنون » فى سورة التوبة ـ ١٠٥

والصلاة حوت لكلا العملين . وجمعت بين الحسنتين واشارت الى كل من الجهدين بصورة عملية كاملة لا نظرية فحسب . ومن هنا جاء النقص الى اكثر المسلمين اليوم حيث اعتبروا الصلاة كعمل خارجي خال من التفكير بالغرض الذي شرعت لاجله الصلاة وقدورد فى حديث عن آل البيت(ع) « ان الله لا يقبل من العبد صلاة الا ما اقبل بها عليه » .

وقد اشار الامام الرضا « ع » الى تلك الفوائد كما بين بعض اسرار مشتملات الصلاة في حديث نذكره بطوله قال « ع » : « انما امر الله بالوضوء ليكون العبد طاهراً اذا قام بين يدي الجبار . وعند مناجاته اياه مطيعاً له فيما امره نقياً من الادناس والنجاسة ؛ مع ما فيه من ذهاب

الكسل وطرد النعاس ، وانما وجب على الوجه ، واليدين ، والرأس ، والرجلين ، لان العبد اذا قام بين يدي الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ، ما وجب فيه الوجوه ، وذلك بوجهه يسجد ، ويخضع ، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويبتهل ، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده وبرجليه يقوم ويقعد » .

(١٨)

والصلاة هي وديعة السماء في الارض ، وأمانة الله عند خلقه ، وقد أمرهم بالاهتمام بها والمحافظة عليها فقال تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ، وقوموا لله قانتين » في سورة البقرة ـ ٢٣٨

وهذه الامانة هي التي تعرفنا بالدين الحنيف ، وتعلمنا المحافظة على أموال الناس وعلى حقوقهم الفردية والاجتماعية ، لان الاسلام أعطى المرء حقوقه من تاج الحياة ، وجعل سياجاً قوياً يفصل بين تلك الحقوق ، وحرم التعدي ، والنهب والكذب فقال رسول الله (ص) : (لا يحل مال امرء الاعن طيب نفس .) ؛

والامام زين العابدين (ع) ضرب للمسلمين مثلا عالياً في المحافظة على الامانات حيث يقول : (والله لو أن قاتل أبي الحسين أئتمنني على السيف الذي قتل به لا ديته اليه) .

فالصلاة والدين يعلمان المرء كيف يعيش في الحياة عيشة فيها السعادة للفرد والجماعة ، وكيف يحافظ على الحقوق والأموال ، وكيف يؤدي الودائع والامانات لان المحافظة على الامانة الكبرى (وهي الصلاة)

تستلزم المحافظة على الامانات الصغرى وتدرب على تأديتها . ولعل اول من اطلق الامانة على الصلاة من الناس هو أمير المؤمنين (ع) بعد اشارة القرآن الكريم الى ذلك . حيث كان (ع) اذا حظر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل فيقال له مالك يا أمير المؤمنين ؟ . فيقول : جاء وقت الصلاة وقت امانة عرضها الله تعالى على السموات والأرض فابين أن يحملنها واشفقن منها .. وهو بهذا يشير الى قوله تعالى : ﴿ إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منهـا . وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا ﴾ فى سورة الاحزاب ـ ٢٧ .

(١٩)

وحرمت الصلاة الحرب وقتل النفوس . وتخريب البيوت . وارهاب القلوب وغيرها مما هو من مظاهر المدنية في بلاد الغرب . والتى تركت العالم البشري في الاضطراب والانزعاج والخوف من آثار سياسة الدول الكبرى اليوم واضطهاداتها للدويلات الصغيرة وتهديدها بالقنابل الفتاكة فى الغد .

ويبدو غريباً ان قلنا ان لتشريع الصلاة دخل في ذلك كله . ولكن يزول ذلك العجب متى ما عرفنا حقيقة الاسلام الذي نهى عن الصلاة في اللبـــاس المغصوب . والمكان المغصوب . فنخرج من هذا بدعوة الصلاة للعدل والسلم . وعدم الظلم والحرب . واكثر من ذلك ان المصلي يودع صلاته بدعاء السلام للبشرية فيقول : ﴿ السلام علينا وعلى عباد اللـــه الصالحين .. ﴾ . ، وكأنه بذلك يجري العهد على نفسه . وبينه وبين ربه على بث روح الحب والطمأنينة والسلام في المجموعة الانسانية

ويبدو اكثر من هـذا المعنى عند ما تتدرج في الوقوف على دقائق

الصلاة وحقيقة ماهيتها . اذ هي ليست اقوالا تلوكها الالسن وحركات تقوم بها الجوارح فحسب انما هي اقوال في القلوب وحركات للنفوس التي هي مصدر تلك الحروب او العدالات . ، يقول الاستاذ ﴿ اجوست سبانيه ﴾ : ـ والدين لا يكون شيئاً يعتد به اذا لم يكن عملا حيوياً بواسطة تحاول النفس ان تنجو من الهلاك بالتجائها الى اصلها الذي تنزلت منه ، وهذا العمل هو الصلاة . وهي كما اعنيها ليست التلفظ بكلمات اوترديد عبارات ولكنها الحركة التي تقوم بها النفس لتضع نفسها في علاقة شخصية واتصال مباشر بالقدرة الخفية التي يحس الانسان بوجودها حتى قبل ان يستطيع ان يطلق عليها اسما فحيث لا توجد هذه الصلاة الباطنية فلا يكون هناك دين . ـ

« ٢٠ »

والاخلاق السامية هي غاية تشريع الصلاة . وهدفها الأول والأخير ، لان الاخلاق هي هدف الدين كما قال نبي الاسلام وزعيم المسلمين محمد بن عبد الله ـ ص ـ : انما بعثت لتتميم مكارم الاخلاق ـ . ومنه ينتج ما قلناه قبل . ؛ وللأخلاق اسس ومبادىء وهي التي بنيها الاسلام في شريعته الخالدة واكثرية الناس لم تفهم منها الا ما اعتادت عليه من العادات المألوفة والتقاليد المتبعة . ولووجهوا نظرهم نحو الاسلام لوجدوا فيه الانسانية الحقة والاخلاق السامية وادب السلوك . ، وهذه الصلاة هي المدرسة الوحيدة التي تعلم الانسان الآداب العالية مع الله والناس وفي المجتمع والبيت .

وتمتاز الاخلاق الدينية في الاسلام على الاخلاق التى تبتدعها الافكار ان الاخلاق الدينية هى اخلاق خالق البشر واخلاق الانبياء والرسل واخلاق خاتم النبيين محمد وآله وصحبه وتابعيه ، بينما الاخلاق الحديثة فانها من صنع عقول البشر وافكار المخلوقين هذا مضافا الى وجود الاختلاف بينها والنقص فيها . لان منها ما يطلق على امور هى الى الظلم والخراب والفحش والفساد اقرب منها الى عتبة قدسية الاخلاق ـ اذاً ـ ما ابعد الشقة بين خلق المدنية المصطنعة المزيفة وخلق مدنية الدينية الحقة التى تبرقعت بجلباب الرحمة والعطف . وتقمصت بثياب العزة والكمال والعفة والطهر .

والصلاة في عملياتها النفسية واللسانية تشيد أثر الاخلاق العالية في النفوس وتغرس بذور الانسانية في القلوب . وتبث روح المحبة بين الناس وتنشر فكرة السلام في الارض . وتعمل لاجل راحة الفكر وسكون النفس وهدوء الضمير ، وتعمل لتليين قلب الانسان المتحجر بالخشوع . واملاء صدره بفضائل الايمان . ومد دماغه برقة الشعور ولطف الاحساس ..

« ٢١ »

وتأخذ الصلاة بأيدي المصلين الى طريق السعادة وسبيل النجاح والفلاح الذي يسعى اليه كل انسان فى الوجود . ويتطلبه جميع البشر . ومذاهبهم وان اختلت في الطرق الموصلة الى ذلك . لكن اكثرها ناقصة لانها بالمادة الصماء ألصق . والى اللذة العمياء أقرب .

اما فكرة السماء ومـــذهب الدين وطريق الله في ذلك . فهو ليس الا التمسك بالاسلام والاخذ باحكامه . وتطبيق نظامه لاجل طاعة الله تعالى وخدمته في الارض وتلك هي السعادة الحقة واللذة الواقعية كما قال العالم الكبير « جون د . روكفلر » : « أو من برب رحيم . وآومن ان ادراك المرء اقصى مناه . واصدق سعادته . واعظم نفعه . انما يكون حين يعيش في طاعة الله » .

وقد بين الاسلام ما للصلاة من أثر كبير في ادراك النجاح وتحصيل الفلاح . قال الله تعالى : « قد افلح المؤمنون الذين هم في صـــلاتهم خاشعون » في سورة المؤمنون ـ ٣ ـ ؛ وفي الحديث الشريف عن اعرابي جاء الى رسول الله « ص » قال : له أسلم . تسلم . قال : وما الاسلام ؟ قال « ص » : شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله . قال ثم ماذا ؟ قال : الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة الا ان تتطوع . قـال ثم ماذا ؟ قـــال : صوم رمضان الا ان تتطوع .. الخ فولى الاعرابي وهو يقول : والله لا ازيد عليها ولا انقص . فلما بلغ قوله النبي « ص » قال : افلح الاعرابي ان صدق .

« ٢٢ »

وتعلم الصلاة اتباعها المؤمنين بها . والقائمين برياضتها . درساً في سبيل الرقي والتقدم في الحياة الا وهو الصبر ورباط الجأش وقوة القلب لمقاومة صعاب الايام القاسية . ومشاكل الزمن المعقدة . قال أمير المؤمنين (ع) « وعليكم بالصبر . فان الصبر من الايمان كالرأس من الجسد . ولا خير

في جسد لا رأس معه . ولا فى ايمان لا صبر معه)

ولم يقتصر الاسلام في الحث على الصبر بأقواله المرغبة وأحاديثه المقدسة . ومناشيره الشريفة ، بل اتبع ذلك وقرنه بأمور خارجية ودروس عملية . وقد جعلها من اسس الدين ووظائف الشريعة بمعنى الزم المسلم القيام بها . والا فهو خارج عن دين الاسلام لانه لم يتخذ بتعاليمه ويتمسك بأحكامه . ومن امثال تلك التعاليم والاحكام عبادية الصلاة التي هي عبارة عن أعمال يقوم بها المرء . لا يمكن ان يأتي بها بلا صبر . وبدون مثابرة وجهاد نفس . وهى اعمال يدويةوجسدية ولسانية وفكرية فى وقت واحد وفي عبادة واحدة .

والخلاصة . ليست الصلاة الا درساً من دروس الصبر اللازمة للمرء في الحياة . بل هى الصبر او قريبة منه . ولعله للمقاربة بين معنيها قرن بينها تعالى حيث قال : « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين » فى سورة البقرة ـ ٤٥

(٢٣)

وحذرت الصلاة من الاتصاف بالكبر وقرينه الغرور بالنفس . وفروعه كالترفي على البشر . والاستخفاف بهم . والاستهزاء بافعالهم واقوالهم ، الى غير هذا من عيوب النفس التي ترجع الى مصدرها الاكبر وهو الكبر ، وهو مضافا الى انه من امراض النفس القاتلة واكبر العاهات النفسية . واخطر مرض اجتماعي . فانه مصدر الشقاء الانساني وعضو اشل في المجتمع البشري ورأس الكبائر المحرمة .

وخطر الغرور بالنفس لا يقل عن خطر الكبر في المجتمع. لان الغرور انما يستمد من نفسه الضعيفة · وخياله الواسع . وظنه الفاسد · ووهمه العقيم ، ويرتب منها اقواله الخرافيـــة · ومغرياته الباطلة وكلماته السامة وتهريجاته وتمويهاته .

والصلاة . كان من اهداف تشريعها . تقوية النفوس . وتغذية العقول وتنوير القلوب . واذهاب الاوهام والظنون وازالة الكبر والخيلاء والغرور وقد بين امير المؤمنين (ع) هذه الحكم في الصلاة . قال بعـــد ما ذم الكبر : (.. وعن ذلك . ما حرص الله عباده المؤمنين بالصلاة و الزكاة ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات تسكيناً لاطرافهم . وتخشيعاً لابصارهم وتذليلا لنفوسهم . وتخفيفا لقلوبهم . واذهاباً للخيلاء عنهم . لما في ذلك من تعفـــير عتاق الوجوه بالتراب تواضعا . والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغرا .)

(٢٤)

وهذا الغرب عندما وقف على الرياضة المستودعة في الصلاة · راح معجباً بها كل الاعجاب . وابدى كل الاكبار لدين الاسلام . وقدم باقات التقديس والاحترام لنبيه الامي العربي محمد (ص) الذي أعطى جانباً كبيراً للرياضة في وقت لم يسمع بذكرها وفي عصر لم يدر اهلها اهميتها و نوعها . وحيث ان محمداً (ص) سبق الغرب بفكرتها · وحيث جعلها جزءاً من دينه وركناً مهماً في شريعته . وفرضاً واجباً يتم القيام به في كل يوم وليلة مرات متعددة .

وزاد على هذا . رئيس معهد رياضي كبير في اوربا . حيث راح يلقي على طلابه درساً مسهباً في الرياضة الاسلامية . ويشرح لهم ميزها وما اشتملت عليه من انواع واشكال ، فوق كونها فرضا دينياً قال : « ان الصلاة التي عند المسلمين . اشتملت على انواع كثيرة من اشكال الرياضة وما يزيد على خمسين شكلا من اقسامها واللعابها . هذا فوق كونها فرضا دينيا وواجبا سماويا . »

وباستطاعة الباحث المدقق . ان يجد ميزاً مختلفة فى رياضة الصلاة كتحريك أهم الاعضاء الجسدية . وبالوقوفات والانحنآت . والاستلقآت المستقيمة . وبتكرار العمل الواحد مرات متعددة . وبتناسق دوراتها قائما وقاعداً . وجالساً ومنحنياً . ، وبكون حركاتها ليست بقليله غير نافعة . ولا بكثيرة مضرة . ، وبملأمتها لسائر الناس . ولكل امة . ، وفى الصلاة شكل جديد من الرياضة . وهي الرياضة القلبية المتوهجة . والرياضة اللسانية الحارة التي تضم بين طياتها غراميات إلاهية طاهرة . ومناجات ربانية مقدسة .

(٢٥)

وفي الصلاة نوع آخر من الرياضة ـ غير الرياضة الجسدية ـ وهي الرياضة المائية . كما يذكرنا بهذا احد العلماء الرياضيين الكبار في اوربا حيث قال : « والصلاة عند المسلمين جمعت بين رياضتين : رياضة مائية . ورياضة جسدية فى وقت واحد . » ، ويشير هذا العالم بالرياضة المائية الى الوضوء والغسل ـ كما يعبر فقهاء الاسلام ـ اللذان هما من مقدمات

الصلاة . وشرطاً فى صحتها حيث قال رسول الله (ص) : « لا صلاة الا بطهور » . وبيان ذلك انه اذا اريد الدخول في الصلاة وكان الانسان قد بال او تغوط او نام او سكر او خرج منه ريح وجب في هذا الحال الوضوء . كما يجب عليه الغسل اذا اجنب او مس ميتاً او كانت المرئة فى حالة حيض او نفاس . فالعالم المتقدم اعتبر هاتين العمليتين وهما عملية الوضوء والغسل من الرياضة المائية لما حوتا عليه من نوع السباحة وغسل أهم الاعضاء . وزبدة القول ان الصلاة التي هي رمز العبودية الخالصة فى الاسلام ـ حوت لاهم مطالب العصر الحديث . واشهر مظاهر الغرب اليوم بينما الاسلام قد جاء بها قبل ان يعرفها الغرب بمآت السنين .. ومع ذلك نرى فى الصلاة الاسلامية ميزاً كثيرة على الرياضة العصرية . منها بجمعها بين الرياضتين : المائية والجسدية ـ كما تقدم ـ وبكونها فرضاً دينياً تحتم على كل فرد ـ من ذكر وانثى ـ القيام به منفردا أو جماعة . في ثلاث اوقات مناسبة للرياضة . ولائقة لكل كبير وشريف . وزعيم ورفيع .

(٢٦)

وفي الصلاة مواد عسكرية مهمة . ، كما يذكرنا بهذا قائد امريكي كبير حيث قال عندما وقف على جماعة لصلاة المسلمين : « والله لقد استفدت من هذه الجماعة . ما يزيد على سبعة عشر مادة عسكرية » . اما تفصيل هذه الفوائد والمواد العسكرية . فلم يتعرض لها هذا القائد العسكري . ومعرفتها وان كان خاصاً بذوي التخصص . ولكن باستطاعة الأديب المثقف الوقوف عليها بعد الدرس والتفكير .

هذه الفوائد العسكرية . هي امثال الالتزام بالوقوف الكامل وعدم الحركة . والنظر للامام . واسبال اليدين . ووحدة الاتجاه باشتراك الجميع في عمل واحد . وحركة واحدة ، حتى تبدو الجماعة للبعيد . وكانها جسم واحد . وذات ارادة واحدة . ، هذا ما يتعلق بمظاهر الجماعة . ، واما ما يتعلق بنفوسهم فالمواد العسكرية فيها هي امثال التفاني بالنفس . والاخلاص بالنية والجهاد في الله . وامثال قوة القلب . وصلابة الايمان . واتجاه الفكر . الى غير هذه المواد اللازمة لكل فرقة عسكرية . وجبهة وطنية . . . ؛

ومن هذا نخرج بمقارنة جميلة . ومقايسة لطيفة بين جنود الوطن . وجنود الله تعالى ، وهم المصلون المؤمنون الذين يحاربون اعدى اعداء الانسانية . وهما الهوى والشيطان . ، وحيث يشبه ذلك القائد العسكري جماعه المصلين بفرقته العسكرية ، نجد قائد المسلمين الاكبر محمد (ص) يشبه جماعته من المصلين في الارض . بصفوف جماعة الملائكة في السماء فيقول : « ان صفوف امتي في الارض كصفوف الملائكة في السماء »

(٢٧)

وتعلم الصلاة . الاهتمام بالوقت . والمحافظة عليه . وعدم تضييعه . ، اذ الوقت من ذهب ، وهو أعظم شيء منحه الله تعالى الى عباده في الارض وهو الذي يقتضي الى التقدم والارتقاء والسعادة والهناء . . وفي قوله تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » اشارة عظيمة الى المحافظة على الاوقات . وفيه درس مهم لتأدية الاعمال في اوقاتها . وان لا يؤخر

الانسان عمل يوم الى غد . لان لكل عمل وقت مخصوص ، ونعم ما قيل في الموضوع : « الوقت درّ ثمين للانسان فمن حافظ عليه أفلح . ومن صرفه في سبيل سعادته فاز ونجح » .

وندرك عظمة تشريع الصلاة . وأهمية ما تلقيه من الدروس . عندما نلقى نظرة خاطفة الى المحيط الذي وجدت فيه الصلاة . وكيف كان اهله من الفوضى والاضطراب . وبعده كيف جاء التكليف بالصلاة في اوقاتها الخاصة بعد الفجر . وبعد الزوال . وبعد الغروب . من غير تقديم ولا تأخير عن اوقاتها المحددة .

ومن هذا كله . ندرك أهمية تشريع الصلاة . وأهمية ما تلقيه من الدروس العاليـــة في المحافظة على الوقت وترتيب اعمال الحياة مع تقدير القانون . واحترام النظام . ، والصلاة تعطى هذا لاتباعها كعقيدة راسخة في القلب . ومبدأ ثابت في النفس . فوق كونها عملا خارجياً . وفعلا حيوياً يضم الحياة والقانون والنظام بين طياته .

((٢٨))

ورمت الصلاة في تشريعها الى عين ما رمى اليه المصلحون اليوم . من الوحدة والاتفاق والتعاون والتعاضد . ، وهذه . من أعظم أركان المجتمع الانساني . واجل وسائل التقدم والرقي فى الحياة . والاسلام اراد هذا كله وبينه في تشريعه الخالد . وكان اكثر من خطيب يلقى على البشرية . النصائح الثمينة في التعاون والتعاضد والوحدة والاتفاق . وذلك امثال قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » فى سورة

آل عمران ـ ١٠٣ ـ ،

كان الاسلام في مواقفه كطبيب نفسي · ومصلح اجتماعي يبحث عن أسباب الوحدة ووسائل التعاون ويحث عليها · وكان من هذه الوسائل او اهم هذه الاسباب · عملية الصلاة التي تجلب التعاطف · وتؤثر التقارب وتوجد التفاهم بين المؤمنين · والتي تدعو الى صفاء القلوب · وتنزيه الضمائر · وتطهير النفوس ·

وانك لترى ذلك · في دعوة الصلاة لجميع الناس في عبادة رب واحد وفي عمل واحد · والتوجه نحو جهة واحدة · ؛ وفى دعوتها الى صلاة الجماعة يومياً في الصلاة اليومية ؛ واسبوعياً في صلاة الجمعة ؛ وسنويا في صلاة العيدين · ، وكل هذا من اسباب توحيد الكلمة · وتساوي الصفوف وتفاهم الافراد وتقارب الجماعات . ، هذا مضافا الى جانب الاحاديث الواردة في الاسلام على استحباب دعاء المصلين لأخوانهم المؤمنين · والتصافح بالاكف ما بينهم فى الانتهاء ·

((٢٩))

ونظافة البدن ـ التي تسمى عند الفقهاء بالطهارة من الحدث ـ شرط مهم في الصحة وقبول الصلاة · قال رسول الله « ص » « لا صلاة الا بطهور » ؛ كما وانها من اهم اسس المدنية الحديثة · واكبر دعائم المدنية الجديدة · والاسلام اعطاها جانباً مهما في شريعته · حتى جعل النظافة من الايمان فقال (ص) : « النظافة من الايمان »

والطهارة البدنية التي تحققها مقدمات الصلاة من الوضوء والغسل ·

تطابق ما جاءت به تعاليم اطباء اليوم ، وان البرنامج الصحي الذي أمر به النبي (ص) قبل اكثر من الف سنة يطابق ما يقوله علماء الصحة في هذا العصر ـ فتكون اقوالهم اليوم مؤكدة لاقوال النبي محمد (ص) أمس ، ودليلا على صدق نبوته ، وحقيقة ادعائه ـ .

وخلاصة اقوال اطباء اليوم : انه يجب على كل انسان غسل اهم اعضائه في اليوم الواحد مرات متعددة ، ويجب غسل جميع البدن ، مرة واحدة فى كل اسبوع ، وهذان وفق ما جاء به الاسلام امس ، وطبق ما امر به من الوضوء لكل صلاة من الصلوات الخمس في اليوم الواحد ، ومن الغسل عند حدوث الجنابة او غيرها مما يوجب الغسل ويجب قبل الصلاة والغالب فيه كل اسبوع مرة ـ على الاقل ـ والا فيكفي فى غسل يوم الجمعة ندباً من كل اسبوع .

((٣٠))

وطهارة الثياب والبدن شرط آخر فى صحة الصلاة وقبولها ـ وتسمى في اصطلاح الفقهاء بالطهارة من الخبث ـ ، وهي بالتجنب عن القذارات والنجاسات الشرعية المشتملة على الميكروبات والاوساخ ، واذا حصل شيء منها على الثوب او البدن ، ازيلت بالماء او بغيره من المطهرات الشرعيه وهذه المطهرات وتلك النجاسات الشرعية لم يقتصر الحكم الديني عليها فحسب ، بل هي مما تقرره الفطرة ويتقبله الوجدان ، ويوافق عليه العلم .

وفي هذا التشريع ، خير سبب للتدريب على التجنب من كل قذارة ونجاسة في مأكل الانسان وملبسه ، وسائر استعمالاته ، مضافاالى انفى هذا

طرداً للامراض ومحافظة على الصحة والبدن . فالصلاة لم تفتها المشاركة في الجانب الصحي للبدن وهي مضافا الى ما تقدم ، تراها تحث على المسواك والمضمضة والاستنشاق التي فيها من الابحاث الصحية . والفوائد الطبية ما يحتاج بيانها الى عشرات من الصفحات ؛ هذا الى اهمية تحريك العضلات في نمو الجسم . وأثر القيام مبكراً في راحة الجسد .

والسر الروحي للطهارة في الصلاة . هو التهيؤ والاستعداد للمثول امام خالق السماوات والارض . وملك الجبابرة ورب العالمين ، وهو طاهر الثوب نقي الذيل وسر آخر وهو الاشارة الى قذارة الارض ووساخة الحياة فيتطهر منها ليقبل على عالم الآخرة . وطهارة السماء .

((٣١))

وللمصلين العابدين ، مضافا الى ما تكسبهم ثيابهم البيضاء . ووجوهم النظيفة روعة ورونقاً . ، تجد لهم لمحات الايمان . ونور اليقين . وبشاشة الانسانيه . وابتسامة الرحمة . ولذة السرور للقيام بالواجب . والاتصال بالله تعالى الذي منحهم تلك الهيبة . واعطاهم ذلك الجمال . ، كل هذا يرى في وجوههم النقية وجباههم الكريمة الطاهرة ، قال تعالى « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود » في سورة الفتح ـ ٢٩

هذا في الدنيا ، واما في الآخرة فقد اخبرنا تعالى عنهم ، حيث قال : « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » في سورة عبس ـ ٣٨

ولا نريد ان نوسع البحث في التطرق لمبحث الجمال في الاسلام حيث يكفينا في دعوة الاسلام الى الجمال من موضوع الصلاة التي اخذ فيها على المصلي وحبذ له التطيب والتزين . ولبس احسن الثياب مع ترجيل وتدهين الشعر . والاعتناء بالهندام . ومظهر الجسد والتأدب بالمشي والكلام والوقوف .

وبالاضافة الى هذا . ، الاحاديث الواردة في صفات المؤمنين من الابتسامة . والبشاشة ـ والتواضع والاخلاق ـ التي تزيد الحسن حسنا وتصير غير الجميل جميلا في افعاله . وخصاله وطبائعه . ونفسياته التي هي الجمال الحقيقي . والحسن الواقعي . وما عداه حسن قشري وجمال ظاهري

(٣٢)

والصلاة مجلبة للراحة . ومدعاة لطرد الهم . وآلة لقضاء الحاجة لان الله تعالى يقول : « واستعينوا بالصبر والصلاة » اي على قضاء الحاجات وطرد الاحزان بالثبات والمداومة .

ومن لطيف ما قرأت في مجلة « العروبة » البيروتية (كلمة لابن الصباح العاملي) (أديسون الشرق) يحث فيها على التمسك بالدين والمحافظة على الصلاة ، وذكر انه طالما كانا عوناً على استكشاف مخترعاته بنور استمده من الله . وهداية من طاعته

ويقول امير المؤمنين (ع) : (ما اهمني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين) ، وكان النبي (ص) اذا اصابه هم وهو في الطريق قصد المسجد للصلاة ، واذا كان في المسجد وهو على أهبة الصلاة . قال

لمؤذنه « بلال الحبشي» ارحنا يا بلال . أي بآذانك . وبدعوتك للصلاة

وفي هذا المعنى يقول العالم الانكليزي « شكسبير » : « راحة الروح بقلة الآثام وراحة القلب بقلة الاوهام . وراحة اللسان بقلة الكلام وراحة الجسم بقلة الطعام » . والصلاة هي الدعوة الصارخة بترك الاثام والأوهام لاجل راحة القلب . وهدوء الروح وسلامة النفس . والضمير والوجدان .

(٣٣)

ويحسب البعض ان الصلاة صخرة عثرة في طريق الحياة . وان الدين عدو الدنيا . ، وهذا وهم فاسد . وافتراء وكذب على الدين والاسلام . لان القرآن يقرر عكس هذا حيث يقول تعالى « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده . والطيبات من الرزق ؛ قل هي للذين آمنوا في الدنيا خالصة يوم القيامة » فى سورة الاعراف ـ ٣٢ . وورد فى الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا . واعمل لاخرتك كانك تموت غدا » وعمل الآخرة هو الصلاة وما يتبعها .

وهناك موارد كثيرة . ومواضع اخرى فى الشريعة الاسلامية حثت على التوجه للدنيا . وعلى حبها . والعمل لاجلها بالطرق الصحيحة وسبلها المشروعة حتى جاء فى حديث « من لا دنيا له لا دين له » . ، واذا كان قد ورد شيء في الاسلام بذم الدنيا فهو لما بها من كفر وظلم وكذب ونفاق .

ودليل آخر على المدعى بنظرة خاطفة الى قانون الاسلام وفقه القرآن

نجدمواده في تنظيم الحياة ومعاملات الدنيا اكثر من القسم الاخروي وما يتعلق بالله وبعد الموت وليس هذا الا لاعطاء الاسلام اهتمامه الاكبر لشؤن الحياة

وهذه الصلاة التي هي في طليعة قسم العبادات الروحية لم يفتها الاشارة لهذا الدرس فهي ـ مضافا الى ما تقدم لها من الفوائد الدنيوية ـ قد علمتنا في بعض مشتملاتها كيف نطلب الحياة حيث ورد في بعض ادعية القنوت للصلاة هذا الدعاء : « اللهم ازرقنا حسنة في الدنيا . وحسنة في الآخرة وقنا عذاب النار واحشرنا مع الابرار . »

(٣٤)

وتعلم الصلاة الصفات الانسانية الكاملة وتمرن على الاخلاق العالية وتدرب على الحياء وستر العورة التي هي ميزة في الانسان منحه الله اياها وخصه بها دون غيره من بقية الحيوانات .

وهذه الميزة التي هي شعور في الانسان وجزء من غريزته ربما تقوى عند امة . وتضعف عند اخرى . وتعدم عند ثالثة بحسب انتشار تعاليمها ومقدار ثقافتها . ولاشك ان التفريط كالافراط في الحياء نقص ، وانما الوسط هو المقبول الذي يرتضيه العقل . ويقبله الوجدان واراده الدين . وأقره علم النفس الاسلامي . وقانونه الاخلاقي . لهذا ترى الاسلام جعل الحياء ـ في مقام ـ من أسس الايمان فقال رسول الله (ص) : (الحياء من الايمان) . وفي مقام آخر قال : (لاحياء في الدين) .

والصلاة التي اعتبر فيها ستر العورة ؛ درس مهم في الحياء ، وفيه اشارة صريحة الى المحافظة على الاعراض التي هي احدى غايات بعث الاديان في

تقنينها لمواد الزواج وأحكام النكاح ، وقبل ذلك هي غريزة انسانية خاصة بل تشترك معها ـ بعض الحيوانات ـ ، فالصلات جاءت مؤكده للشعور الانساني العام . ومذكرة لخواص الانسانية الحقة ، ثم فيهـــا محافظة على الآداب العامة . وتدريب على النواميس الطبيعية .

(٣٥)

ومما نستفيده من الصلاة . عزة النفس وحب الكرامة . حيث توصلنا الصلاة بالله تعالى وتعلمنـا السؤال منه . دون سائر مخلوقـاته من الناس لان السؤال منهم . ذل واحتقار والطلب منهم كبت للنفس العالية . وشعور بالعبودية الممقوتة .

اما عبادة الله ففيها تمام الشعور بالعزة وكمال رفعة النفس . وخاصة عندما نلتفت الى ما منحه الله للمؤمنين من الحرية . والكرامة الشخصية . والمصلى عندما يكرر هذا الفصل « الله اكبر » اكثر من مرة في صلاته لاجل ان يجعل هذه الكلمة امام نفسه . ويتفهم اسرار معانيها . يدرك منها ان الله اكبر كل مخلوق واعظم من كل انسان فيصبح لا يخشى احداً . ولا يهاب ملكا غير الله .

ونستفيد من الصلاة « ايضاً » الصدق . والامانة . وحسن الخلق والعطف . والرأفة وغيرها من مصاديق الفضيلة . وافراد الخير التى اهتم الاسلام فى نشرها وتعميمها بين الافراد والجماعات وكل ذلك لاجل نشر السلام في نفوس الافراد ونفسية المجتمعات، والصلاة شرعت للتذكير بالسلام والدعوة اليها ولهذا يختم المصلي صلاته بدعاء السلام حيث يقول : (السلام

عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

(٣٦)

ونعود في نهاية هذا الحديث « عن فوائد الصلاة » الى ما بدأنا به اولا من ان هذه الفوائد ـ الدينية والنفسية والبدنية والاجتماعية ـ ليست الا جزءاً من كل ونقطة في بحر . أردنا بذكرها التأييد والشرح لقول إحدى الاديبات المسلمات : من ان باستطاعتها ان تذكر للصلاة ما يزيد على مائة فائدة متنوعة .

وقصدنا بهذا الحديث التقريب لافكار شبابنا المسلمين وجيلنا الناشيء الجديد الذي جعل الصلاة وراء ظهره . هذا الجيل الذي عليه كل آمالنا في الدعوة لاستمرار رسالة الاسلام . وتبليغها للعالم البعيد . ونشر دعوة السماء الحقة في الارض وبث فكرة نبي الاسلام في العالم وتطبيق نظام القرآن بين الناس . والقيام بالعبادات الألاهية فرادى وجماعات .

وحسبي اني فتحت باباً لغيري من العلماء والادباء للكتابة عن اسرار الصلاة التي هضم حقها الكتاب . ولم يكتبوا عنها كما كتبوا عن اخواتها من الصوم والحج والزكاة . ، في حين ان الصلاة أهم من بقية العبادات في نظر القرآن . ، وفيها من الحكم والفوائد والاسرار ما يزيد على ما ذكر للحج والزكاة من الفوائد ، لهذا فانا نلفت أنظار مصلحينا . وكتابنا . وادبائنا المسلمين للكتابة عن اعظم مدرسة في الاسلام ، وفي حث الناس عليها وايقافهم على فوائدها السامية . وتفهيمهم لاسرارها العالية .

فروض الصدمة

أيها الشاب المثقف . !!

بعد أن عرفت وجه وجوب الصلاة . ودليله من محكمة العقل والفطرة وحجته من الذوق والوجـــدان . ومن آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة الشريفة . ومن صفحات التاريخ ومعقل الاجماع واتفاق السيرة . ومن مباحث العلم . والطب . والنفس والفن والرياضة . والفلسفة . ؛ بعد هذا . ليس لاحد من الناس أي عذر للتخلص من المسؤلية امام كل هذه ، وامام الموقف الاكبر الذي يقفه كل انسان بعد الموت للمحاسبة امام الله تعالى الذي جعل لكل انسان دليلا من نفسه . وراشداً من عقله في هذه الحياة ..

وعقيدتي ان كل شاب مثقف يقف على ما تقدم . بتفكر وامعان . لا بد ان يعدل عن تساهله بالصلاة . او غفلته عن وجوبها . ، ولا ادري كيف يبخل العبد بتقديم نصف ساعة من اربع وعشرين ساعة الى الله تعالى ؟ !!! الذي اعطاه ذلك الوقت ؛ وذلك البدن والقلب واللسان . واعطاه كل شيء . وسخر له كل شيء ـ وطلب منه الاتصال به في وقت لا تزاحم اشغاله واعماله للحياة .

وهذه الصلاة ليست اكثر من القيام بعشرين واجباً ؛ وما عداها . خيرك الاسلام فيها بين ان تأتي بها فتثاب . وبين ان تتركها فلا تعاقب ليست الصلاة اكثر من ذلك . وهي بين تعليمات ومقدمات للصلاة واجزاء لها وبين اعمال لسانية وقلبية وجسدية ؛ فاحرص ـ أيها الشاب المثقف ـ ان تدرسها . وتتفهم اسرارها لتأتي بها كما امر الله ورسوله . وتقوم بوظيفتها اكمل قيام . واياك ان تخلط بين الواجب والمستحب . وتخلط بين ما يلزم

وما لا يلزم ؛ . وهذا ما دعانا لذكر فروض الصلاة . مقتصرين ع
الواجبات . تاركين ذكر المستحبات . وذلك تسهيلا للشباب . و
المصلين بشدة الاهتمام بها . ودفعاً لتوهم صعوبة الصلاة ، وكثرة ما
بينما المستحب فيها أضعاف الواجب منها .

وبالجملة . انه لا يجب على المصلي اكثر من احراز الامور الت
نذكرها على نحو الاجمال :

« ١ » الوضوء ـ : يجب في الصلاة الوضوء . عن البول او
أوالريح اوالسكر اوالنوم ، وكيفيته : غسل الوجه ثم اليدين من
ثم مسح شيء من الرأس ثم ظاهر القدمين .

« ٢ » الغسل ـ : ويجب في الصلاة الغسل عن الاحتلام
والحيض والنفاس او الاستحاضة ـ في بعض صورها ـ ، وكيفيته
جميع الرأس ثم الجانب الايمن فالايسر . او غمس جميع البدن فى

« ٣ » التيمم ـ : ويجب في الصلاة . التيمم عند عدم الماء
الوصول اليه او الضرر من استعماله ؛ وكيفيته : ضرب باطن اليد
الارض ثم المسح بها الجبهة والجبينين ثم ظاهر الكف اليمنى بباطن
ثم العكس .

« ٤ » الطهارة : ـ ويجب في بدن المصلى عدم وجود ش
النجاسات ـ او الملاقي لها ـ كالبول والغائط والمني والدم والخمر وا
واذا وجد شيء منها ازيل بالماء او بغيره من المطهرات .

« ٥ » اللباس ـ : ويجب في لباس المصلي ان يكون ساتراً
الرجل . ولجميع بدن المرئة ـ ما عدى الوجه والكفين والقدمين فيها

لا يـكون نجساً . ولا مغصوبا . وان لا يكون فيـه ذهب او حرير ـ لغير المرئة فى الاخيرين ـ

« ٦ » التفقه ـ : ويجب على المصلي التفقه في الدين ومعرفة اهم احكام الصلاة . وخاصة مسائل الشكوك والسهو وغيرها ، كما يجب التقليد في الفروع الخلافية في الصلاة للمجتهد الحي ـ أمثال آية الله الحاج آغا حسين البرجردي . وآية الله السيد حسين الحمامي . وآيـة الله السيد محمود الشاهرودي وآية الله السيد محسن وآية الله السيد عبدالهادي الشيرازي .

« ٧ » العدد ـ : ويجب في الصلاة ملاحظة العدد كما بينـه نبي الاسلام (ص) من غير نقيصة ولا زيادة ، وهو ركعتان للصبح . وثلاث للمغرب . واربع لكل من الظهر . والعصر . والعشاء .

« ٨ » المكان ـ : ويجب في مكان المصلي الاستقرار وعدم النجاسة السارية وفى محل الجبهة تجب الطهارة . وان يكون شيئاً من الارض او ما انبتت ما لم يؤكل أو يلبس من نبات الارض في العادة .

« ٩ » القبلة ـ : ويجب فى الصلاة التوجه للقبلة . وهي جهة الكعبة المكرمة . فلا يصح الاستدبار عنها بجميع البدن . اما التوجه ذات اليمين او الشمال بالوجه فلا بأس به .

« ١٠ » الوقت ـ : ويجب في الصلاة . دخول الوقت . وهو للصبح من طلوع الفجر الصادق حتى طلوع قرص الشمس . وللظهر والعصر من زوال الشمس حتى غروبهـا . وللمغرب والعشاء من غروب الشمس حتى انتصاف الليل . واذا انتهى الوقت وجب القضاء

« ١١ » النية ـ : ويجب في الصلاة . النية . وهي القصد : وكيفيتها

ان يأتي بالصلاة متقربا الى الله تعالى . وامتثالا لامره وتلبية ولا يجب فيها اللفظ . نعم يجب ان تكون قبل الدخول في الصلا

« ١٢ » التكبيرة ـ : ويجب في الصلاة تكبيرة الاحرام قول : (الله اكبر) عند الشروع في الصلاة . مرة واحدة . بتكبيرة الاحرام ؟ حيث يحرم قطع الصلاة بعدها بشيء من منافيات كالقهقهة والكلام . وغيرهما .

« ١٣ » الحمد ـ : ويجب في الصلاة ـ قرائة سورة الحمد وهي الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مال الدين . اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذير عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .

« ١٤ » السورة ـ : ويجب في الصلاة ـ قرائة سورة من سور ويكفي سورة التوحيد المعروفة وهي : (بسم الله الرحمن الرحيم الله احد . الله الصمد لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً احد

« ١٥ » القيام ـ : ويجب في الصلاة القيام حال التكبيرة والسبحانيات ـ وهو انتصاب القامة معتدلا ، وكما يجب بعد الركو الهوي الى الارض وبعض المصلين لا ياتون به كاملا فيحسن تنبيه

« ١٦ » السبحانيات ـ : ويجب في الركعة الثالثة للمغرب . من الظهر . والعصر والعشاء حال القيام قرائة سورة الحمد او قول : (الله والحمدلله ولا إله إلاالله والله اكبر) ثلاثاً .

« ١٧ » الركوع ـ : ويجب في الصلاة بعد قرائة أو السبحانيات . الركوع . وهو انحناء الظهر معتدلا ويجب فيه ال

وقرائة التسبيح وهو قول (سبحان ربي العظيم وبحمده) مرة اوقول : (سبحان الله) ثلاث مرات .

« ١٨ » السجود ـ : ويجب في الصلاة . السجود . وهووضع الجبهة على الارض . والواجب في كل ركعة مرتان تتخللها جلسة تسمى بجلسة الاستراحة . ويجب فيه التسبيح وهو (سبحان ربي الاعلى وبحمده) مرة او (سبحان الله) ثلاثاً .

« ١٩ » التشهد ـ : ويجب في الصلاة . التشهد وهو قول (اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله . اللهم صل على محمد وآل محمد) في حال الجلوس بعد الركعة الثانية . وفي الانتهاء من الركعات .

« ٢٠ » السلام ـ : ويجب في الصلاة . بعد تشهد الختام . الدعاء بالسلام وهو قول : ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ﴾

٦ / ٤ / ٧٥ النجف الاشرف ـ العراق

محمد رضا شمس الدين

شمس الجهاد

* * *

(وأجلت طرفي في الكتاب) كما جرت سفن على بحر خضم زاخر
ماجت رياح الفكر بين سطوره وطغت علي فبت غير محاذر
انا لا اغوص قدره لا يجتنى بالغوص لكن باليراع الساحر
وكأن منساب السطور بصفحة بيضاء شلال الخيال الغامر
حتى اذا انبلج الصباح فاشرقت (شمس الحقيقة) في إهاب زاهر

لله أنملة تقل يراعه كالسيف يلمع في يمين مغامر
وكأن (فلسفة الصلاة) جليلة روح تصاعد من ضمير طاهر
نسجت مطارفها يداك فأصبحت عين (الرضا) في كل طرف ناظر
ان اليراعة حين تنتهل الهدى تجري مواهبها بروض عاطر
دم للحقيقة كلما احتدم الدجى (شمساً) تقشع عن ظلام داجر

عبد الرضا السيد باقر الشخص
النجفي